

من تأويل الاستشراق: المدرسة التنقيحية الاستشراقية

—قراءة في فكر المستشركة باتريشا كرون —انموذجا

أ.م.د. حلا كاظم سلومي

كلية الإمام الكاظم(ع) قسم علوم القرآن والحديث

alhabeebhk1981@gmail.com

المخلص :

شهدت الكتابة عن الفكر الاسلامي واصوله نقاشات موسعة في الدوائر الاستشراقية في العقود الاخيرة ، لاسيما مع ما بات يُعرَف بين الباحثين بالاتجاه التنقيحي أو التجذيري، واعتلائه الفكر الاستشراقي المعاصر، وما جاء به هذا الاتجاه من طروحات وإشكالات منهجية على أصول ومصادر الاسلام كدين وفكر وحضارة ، أذ شكك ان اصولها غير موثوقة، ولا تحمل الحقيقة أو الموضوعية، بل إنها أقصيت تماما وقطع بعدم صلاحيتها في دراسات المستشرقين، وحقيقة الحال إن التشكيك الجذري والرفض العنيف الذي يعلنه الاستشراق الجديد لمصادر وأصول الفكر الاسلامي وفلسفته وثقافته هذه المرة هو الاستغناء عن كل الموروث وإهماله دفعة واحدة ، واعتماد أصول تنتمي الى ايدولوجيات دينية وسياسية مغايرة كالأصول اليهودية والمسيحية والسريانية .. الخ ، وعليه فإن البدائل التي يطرحها هذا الاتجاه أمام الباحثين، هي الاصول غير العربية أما هي صيغة أخرى من الإكراهات المنهجية المتعنتة، وهو ما نحاول تقصيه في البحث ومن ثم الرد عليه.

الكلمات المفتاحية:(الاستشراق الجديد والمعاصر، المدرسة التنقيحية ، باتريشا كرون، اهم قراءاتها ومقولاتها عن التراث الفكري الفلسفي العربي والاسلامي، الرد على باتريشيا كرون)

interpretation of Orientalism: the radical skeptical school of Orientalism

-A reading of the thought of Orientalist Patricia Krohn - an example

Dr. Hala Kadhim Salumi

alhabeebhk1981@gmail.com

Imam Al-Kadhim (peace be upon him) College, Department of Qur'an and Hadith Sciences

Abstract:

Writing about Islamic thought and its origins has witnessed extensive discussions in Orientalist circles in recent decades, especially with what has become known among researchers as the revisionist or radical trend, and the rise of contemporary Orientalist

thought, and the propositions and methodological problems that this trend brought about regarding the origins and sources of Islam as a religion, thought, and civilization. he doubted that its origins are unreliable and do not carry truth or objectivity. Rather, they have been completely and definitively excluded as invalid in the studies of Orientalists. The reality of the situation is that the radical skepticism and violent rejection that the new Orientalism announces of the sources and origins of Islamic thought, philosophy and culture this time is the dispensation and neglect of all heritage at once, and adopting origins that belong to different religious and political ideologies, such as Jewish, Christian, and Syriac origins, etc. Accordingly, the alternatives that this trend presents to researchers are non-Arabic origins, but they are another form of stubborn methodological constraints, which is what we are trying to investigate in the research.

Keywords: (New or contemporary Orientalism, radical critical trend, Patricia Crone, her most important readings and sayings about the Arab and Islamic philosophical intellectual heritage)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وفضل الصلاة واتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين محمدا وآل بيته الطيبين الطاهرين، تأتي أهمية هذه الدراسة التي سوف تتعرض الى رؤى الاستشراق المعاصر واهدافه ومنهجه وماذا يشكل التراث الفكري الاسلامي بالنسبة له منذ القدم والى اليوم، وليست هذه الدراسة تمتاز بكونها جديدة أو منفردة من حيث الدراس والمدرّوس اللذان شكلا عنوان البحث برمته، بل الجديد هو أن مع -الاستشراق المعاصر- أعلن اتجاها منه التشكيك والقطيعة والرفض لمصادر الاسلام التاريخية المؤسسة لنشأة الاسلام والقرآن وتراثه الفكري حتى أنه ابعداها من ساحة البحث وعدّها غير موثوقة ولاتحمل الحقيقة ، واكد على ضرورة الاستعانة بمصادر غير اسلامية كالمصادر اليهودية والسريانة والاغريقية والقبطية... الخ، هذا الاتجاه الاستشراقي الجديد بات يُعرف بين الباحثين بالاتجاه التنقيحي التجذيري وبرز ممثليه المستشرقون باتريشيا كورن، ومايكل كوك، وألفريد لويس دي بريمار، واستاذهم جون واسنبروا. كل ذلك بخلاف ما كتبه الاستشراق التقليدي، حيث يمكننا القول ومنذ النصف الاول من القرن التاسع عشر وما انتجه خلال قرن كامل عن الاسلام والمسلمين وتراثهم الفكري كان يعتمد على المصادر الاسلامية رغم ما حملته تلك الدراسات من الحقد والنقد لم يعلن الرفض لتلك المصادر العربية والاسلامية، إنما عملوا على تفكيكها وإعادة صياغتها بحسب توجهاتهم وفهمهم لها، من امثال جولدزيهر، وجوزيف شاخنت، و توماس آرنولد، ونولدكة و... غيرهم. واليوم ومع

الاستشراق المعاصر لا نكاد نجد في الدوائر الاستشراقية التقليدية من تصدى لنقد ومواجهة اصحاب الاتجاه الاستشراق التنقيحي الجذري باستثناء المستشرق الالمانى جوزيف فان أس ، وعلى صعيد العالم العربى لانجد اهتماما يُذكر بالرد على تلك الكتابات الاستشراقية التشكيكية الجذرية . رغم مرور ما يقارب ربع قرن عليها.

الاستشراق الجديد أو المعاصر:

بدأ الاستشراق الجديد من نهاية الاستشراق القديم ١٩٧٣م، و من مكانه الجديد في أمريكا ، فكان لا بد أن يجد له جذورا ومع بداية التسعينات من القرن العشرين وتفكك العالم الاشتراكي وتصدع العالم الثالث ظهرت الحاجة أمريكيا لإعادة ترتيب العالم ثقافيا وايدولوجيا^(١). لقد ساهم الاستشراق الكلاسيكي بحسب رأي إدورد سعيد في بناء هوية غربية مثلت رغبة في السيطرة على الشرق ، فهل تواصلت تلك الرغبة في الدراسات الاسلامية المعاصرة؟^(٢). الواقع، تحول كثير من الدارسين للمشقيات و بالاخص الالمان بعد كتابات إدورد سعيد، عن تسمية أنفسهم "مستشرقين" وأعتبر أنفسهم مختصين بالادب العربى أو التاريخ الاسلامي او بالآثار الاسلامية^(٣). وإذا ما تغافلنا طروحات سعيد في الخطاب السلطوي للاستشراق الغربى ،سنجد هناك من المستشرقين من حاول جاهدا الالتزام بالحياد والموضوعية من أجل المعرفة ذاتها، وانتقد الكثير من زملائه الذين انحرفت بهم نزواتهم عن النزاهة العلمية^(٤)، بيد أن ذلك لم يَحُلْ دون تعرض كتاباتهم للهجمات من جانب فريقين غربيين: فريق النقديين الجذريين، وفريق أنثروبولوجيي الإسلام. وكان النقديون الجذريون أشد قسوة وأبلغ تأثيراً^(٥). ذلك لان طرائق هؤلاء النقديين والمراجعين الجذريين للاستشراق تفكيكية وأنثروبولوجية تسعى لتحطيم الصورة السائدة في الدراسات العلمية الاستشراقية عن ماضي المسلمين وحاضرهم، وعلى رأسهم باتريشيا كرون ومايكل كوك، وهما تلميذان ل جون وانسبرو، نشرا كتاباً مشتركاً أطلقا عليه اسم "الهاجرية" أثار ردوداً في الدراسات الاستشراقية، إذ وجه المستشرق الألماني الشهير جوزيف فان أس نقداً موجعاً لهما في مراجعة لعملهما "الهاجرية" بسبب سوء فهمهما للإسلام وتقاليد وآثاره^(٦).

المدرسة التنقيحية للدراسات الإسلامية REVISIONISMUS^(*):

بدأت الحركة الجديدة في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في لندن من خلال دراستين من إعداد جون وانسبرو: دراسات قرآنية *Quranic Studies* عام (1977) والوسط المللي *The Sectarian Milieu* عام (1978). من بين طلاب وانسبرو: أندرو ريبين *Andrew Rippin* ، نورمان كالدر *Norman Calder* ، جي آر هاوتينغ ، باتريشيا كرون ومايكل كوك . اجتذب كتاب *الهجرية: صنع العالم الإسلامي (1977)* من تأليف باتريشيا كرون ومايكل كوك الانتباه في الأوساط العلمية بأطروحات استقزائية، لكن في وقت لاحق نأى المؤلفان بأنفسهما عن الأطروحات البعيدة المدى. ومع ذلك، تم الحفاظ على النهج البحثي الجديد في الأساس. درس مارتن هيندز أيضًا في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية في لندن. روبرت هويلاند *Robert G. Hoyland* طالب عند باتريشيا كرون.

وهناك تجمع ثاني للحركة الجديدة في جامعة سارلاند في ساربروكن (" مدرسة ساربروكن، حيث كان التركيز على البحث التاريخي النقدي في تطوير النص القرآني منذ سبعينيات القرن العشرين، بواسطة غونتر لويلغ *Günter Lüling* وغيره روديغر بوين . في ساربروكن أيضًا، طور كارل هاينز أوليج ، مع فولكر بوب *Volker Popp* وكريستوف لوكنسبرغ وماركوس جروس *Markus Groß* ، نظرية عن الأيام الأولى للإسلام التي تتكرر وجود شخص تاريخي يُدعى محمد.

ومن الممثلين الآخرين للمدرسة التنقيحية: هانز يانسن من هولندا، الذي أظهر في ٢٠٠٥ ، عمل رصين لماذا القصاص المعروفة عن حياة محمد هي أساطير. قام يهودا نيفو *Yehuda D. Nevo* بنشر أعماله " مفترق طرق للإسلام: أصول الدين العربي والدولة العربية: *Crossroads to Islam* " *The Origins of the Arab Religion and the Arab State* في ٢٠٠٣ ، والتي نفى فيها تاريخية محمد. جيمس بيلامي *James A. Bellamy* معروف بانتقاداته النصية للقرآن واقتراحاته بالترجمة منقحة، أي اقتراحات تصحيح على نص القرآن التقليدي. في 2010 ، كان فريد دونر أول

من قدم فرضية راسخة عن الأيام الأولى للإسلام، والتي تجنبت الاستنتاجات المبكرة والتخمينات غير المدروسة ولقيت استجابة كبيرة.

باتريشا كرون (١٩٤٥ - ٢٠١٥م):

المستشقة الدنماركية الاصل-الامريكية المعاصرة بعد ان اتمت تعليمها الاولي في الدنمارك ،انتقلت الى بريطانيا لتكمل دراستها فالت الدكتوراه عام ١٩٧٧م من كلية الدراسات الشرقية والافريقية ، كما عملت في جامعة كامبردج البريطانية حتى عام ١٩٩٧، وفي نفس العام انتقلت الى معهد الدراسات العليا التابع لجامعة برينستون الامريكية. وهي متخصصة في التاريخ الاسلامي درست اللغة العربية والفارسية والسريانية والعبرية واللاتينية والفرنسية واليونانية^(٧) ، تعد باتريشيا واحده من أبرز المستشرقات المعاصرات لها اثرها الذي لا يختلف عن كاترين لامبتون ، و كارين امسترونغ ، و كارول هلينبيراند، وتصنف بانها من طبقة المستشرقين المتعصبين الناقلين على الاسلام والمسلمين ، فلها الاثر في تشويه صورة الاسلام في الفكر الغربي حيث اعتبرت الاسلام جزء من حركة يهودية مسيحية بالاعتماد على مصادر غير اسلامية ، و كان لنشأتها العلمية دور كبير في توجيهاتها للمنهج التفكيكي الشكي^(٨) ، متأثرة بذلك باساتذتها ومنهم (المستشرق البريطاني برنارد لويس ، والمستشرق جون واسنبروا الذي شكك في سيرة الرسول محمد (ص) واستنتج أن القرآن الكريم تطور تدريجيا في القرنين السابع والثامن الميلادي وان السبب في عدم وجود مصدر اسلامي من القرن الاول الهجري هو أنه لم يكن موجودا من قبل^(٩) .

آثارها العلمية:

اشتركت باتريشيا في إصدار سلسلة دراسات عن: القانون الإسلامي والدراسات الاجتماعية وهي عضو في مجلس إدارة خمس دوريات تاريخية من بينها موسوعة الفكر السياسي ، وهي عضو في

الجمعية الفلسفية الأمريكية، وأستاذ فخري في كلية اللاهوت في جامعة آرهوس ، و لها أكثر من عشرة كتب منشورة في التاريخ والحضارة الإسلامية اهمها: الهاجريون ، تجارة مكة وظهور الاسلام ، العبيد فوق الخيول ، خليفة الله ، القانون الروماني والشريعة الاسلامية ، الفكر السياسي الاسلامي في العصور الوسطى^(١٠)،

مقولة همجية العرب:

ترى باتريشيا وبحسب تحليلاتها -في كتابها المشترك مع المستشرق مايكل كوك- "الهاجربة الصادر ١٩٧٧"، عنف الاسلام وتركيزه على الجانب السياسي والعسكري من خلال الفتوحات والجزية والخلافة ، وهمجية العرب وخشونة حضارتهم، فنقول: ((ان كل الحضارات ، بالله عليك ، كانت غير عربية، فسواء الفراعنة، النماردة، القياصرة، أو الشاهنشاهيون، الشعراء، الفلاسفة أو الانبياء قبل محمد، كل هؤلاء انجبهم غير العرب في سياق بناء حضارات الجنس البشري في حين كان العرب يأكلون السحالي في صحرائهم...))^(١١). فالمجتمع الشرقي ذا طبيعة عاجزة عجزا تكوينيا^(١٢). من حيث تمحيص نشأة الدولة الإسلامية وتحليل دور القبائل والثقافة القبلية في بدايات الإسلام، وتحليل السمات المتشابهة بين الأنظمة القانونية في كل من القانون الإسلامي واليهودي والروماني^(١٣). فتحاول باتريشيا مع كوك إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بالاعتماد على المصادر غير الإسلامية ومن ثم رفض المصادر الإسلامية دونما أي تبرير، وتوصلا إلى أن المهاجرين ينتسبون إلى السيدة هاجر وليس إلى الهجرة من مكة إلى المدينة^(١٤).

التشكيك في النبي والقرآن :

وفي محاولة لإعادة فهم جذور الإسلام ونشأته عبر التشكيك بوثائقية النصوص الإسلامية واللجوء إلى مصادر غير إسلامية معاصرة لنشأة الإسلام، من يونانية وأرامية وبيزنطية وأرمنية وعبرية^(١٥) ،

تؤكد باتريشيا كرون -بالاشتراك مع زميلها كوك- إن كل ما قيل عن الإسلام "المبكر" ينطلق من مسلمة فحواها أنه يمكن استخراج الخطوط الكبرى لعملية نشأة الإسلام من خلال المصادر الإسلامية. ولكننا نعلم جيداً أن هذه المصادر متأخرة^(١٦)، إذ تقول: "لا توجد أية إشارة تدل على وجود القرآن قبل نهاية القرن السابع، لكن المصادر المسيحية والإسلامية على حد سواء تعزو إلى الحجاج دوراً ما في تاريخ الكتاب المقدس الإسلامي"^(١٧)، فما تعنيه باتريشيا هو أن أول أثر عن وجود القرآن يعود إلى آخر عقد من القرن السابع الميلادي، أي القرن الأول الهجري. أما الحديث وغيره من الروايات التي تتعلق بعملية كتابة الوحي فلا أثر يقرّها قبل بداية النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي أي الثاني للهجرة^(١٨)، كما تجد باتريشيا أن ما يعتبر روايات لأحداث دينية ترجع إلى القرن الأول للهجرة لا تصلح إلا كي تعتمد في دراسة الأفكار الدينية في القرن الثاني للهجرة. وعليه لا بد من تجاوز المدونة الإسلامية برمّتها والشروع في البحث من جديد باللجوء إلى المصادر غير الإسلامية^(١٩) والاكتر من ذلك، عملت باتريشيا على التشكيك في وجود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه إذ تقول: "بحسب العملات العربية والنقوش والبرديات والأدلة الوثائقية اللغوية الأخرى، فإن محمداً لم يظهر إلا في سنة ٦٨٠م، أي بعد خمسين عاماً من وفاته تقريباً، أيّاً يكن سنة وفاته بالضبط، وهذا هو الباعث الذي جعل البعض -وخصوصاً يهوداً نيفو وجوديث كورين- يشكان في وجوده"^(٢٠)، ويرجع هذا الشك اعتبارها أن كل التراث الوارد عن التاريخ الإسلامي مفبرك لاحقاً لأغراض سياسية^(٢١).

مقولة الفيلسفة العربية هي إرث يوناني:

كان "وانسبرو"، يرى انه قد أُلّف القرآن في القرن الثاني للهجرة كنتاج للجدليات الدينية الإسلامية اليهودية. ومكّة لم تكن المكان الذي ولد منه الإسلام، وما دعي بمكي ومدني هو مجرد تضليل. حيث، قامت وجهات نظر "وانسبرو" على التشكيك في التراث الإسلامي الذي كتب في المرحلة

العباسية، في ظل غياب المعرفة والوعي التاريخي بالتراث. وهو توجه تبناه تلميذاه ، "باتريشيا كرون، و"مايكل كوك"^(٢٢)، إذ يرى الباحثان في كتابهما المشترك ان نظرية الجنس والعرق تشير الى خشونة حضارة العرب وهمجيتهم وعنف الاسلام المحدد بالجانبين العسكري والسياسي من خلال الفتوحات والحزبية والخلافة^(٢٣)، ويتضح ذلك بقولهما: "أن الحضارة الاسلامية هي النتاج لغزو بربري لأراض ذات تقاليد ثقافية قديمة جدا، وهي بحد ذاتها فريدة في التاريخ."^(٢٤)، وتبعا لذلك سيكون الشرق ذا عقلية مادية-إدارية عبر تعريب الدواوين ووثائق الدولة ، وعليه لم يقم الشرق باية إضافات حضارية ، إما الغرب فقد اخذ النزعة الانسانية عن اليونانية عبر الشعر والادب^(٢٥)، فتذكر باتريشيا انها فلسفة توفيقية: " وهكذا فالرفض الحاخامي للفلسفة كان ابستمولوجيا وإثنية في آن. ونتاجه... يمكن تقصّيها بحذق في درجات التوفيقية المختلفة التي واجهها المسيحي فيلوبونوس من القرن السادس والمسلم الكندي من القرن التاسع في محاولتهما لإعطاء تفسيرات فلسفية للعقيدة الدينية." ^(٢٦)، وفي مجال الذرة تؤكد باتريشيا الاصل اليوناني لها فتقول: "وإذا كانت تضامنية القيم الاسلامية لم تلغ علينا الهلينية بطريقة عنيفة للغاية، فإن اعداءها على مستوى المبدأ قاموا بمحاولة عنيفة لقتل الفيزيك والميتافيزيك بإعادة التقليد اليوناني ذاته: ذرات ديموقريطس هي على وجه التحديد رمال على شاطئ البحر الاحمر في مذهب التصادفية الاسلامي. ربما ان فكرة مسيحية تعتبر عويصة بنتيجة مفيدة ؛ لكن انطباع فلسفة إسلامية ، كما لاحظ الحاخامون في القرن التاسع عشر بحق، هو تناقض في المفاهيم. على هذه الارضية المحبطة من العدائية الدينية المتواصلة ، كان تاريخ الفلسفة الإسلامية طويلا وليس غير مؤثر." ^(٢٧)، وهكذا جعل النزعة الانسانية حكرا على الحضارة الغربية دون غيرها هو افتراض لا تاريخي ولا علمي^(٢٨)، والقول بمركزية الفلسفة في الغرب دون الشرق هو طرح واضح في اعمال كل من كوك وكرون ومن ثم سكوتهما عن الإرث اليوناني في الطب والفلسفة العربيتين ومدى استفادة العرب من الطب والفلسفة العلمية الاغريقية هو غياب معبر عن ذهنية الكاتب حتى لو لم ينطق به في

اعماله، وهذا أمر -اي السكوت او الصمت - اهتم به ادوارد سعيد بمحاولته قراءة ما يختفي وراء ذلك الصمت .

مقولة مركزية الدين في الثقافة الاسلامية:

نجد في كتاب "خليفة الله" لكرون الحديث عن تمازج الدين والسياسة ، اذ ترى ان محمد هو مؤسس دولة عربية سياسية قبل كل شيء، "إذ أنه لم يصبح رسولا إلا بعد أن أصبح سياسيا ناهجا" (٢٩) ، تقول كرون: " ونوجز بقولنا انه منذ عهد عثمان بن عفان وصولا الى الرئيس نميري ، او بعبارة اخرى منذ عام ٦٤٤م حتى ١٩٨٤م والمسلمون على اختلاف خلفياتهم السياسية والدينية....بيرون لقب "الخليفة" مرادفا للقب "خليفة الله" اي نائبا عن الله." (٣٠)

تحاول كرون: اولاً: تتبع تطور مفهوم "الخلافة" في الوسط السنّي، وفي الإجابة عن تساؤل إن كانت الخلافة موقعا سياسيا فقط أم تمثل مرجعية دينية أيضا، الأمر الذي أضفى عليها نزعة قداسة.

وثانيا: تبين مدى تداخل الدين بالسياسي في موقع الخلافة وتنامي ذلك التداخل مع توالي العصور

الإسلامية من عصر الخلافة الأول مرورا بالعصر الأموي ثم العباسي، الأمر الذي وصل في مراحل تاريخية إلى حد اعتبار أن رأس السلطة هو خليفة الله الذي يعمل ويقرر بتفويض إلهي - في تقارب ملحوظ مع فكرة الإمامة المعصومة في الوسط الشيعي - وما نتج من ذلك من صراع مع علماء الشريعة الرافضين لهيمنة السلطة السياسية على مرجعية الحكم الشرعي.

ثالثا: كذلك تذكر كرون: "تستهل حديثنا بالحقيقة المعروفة بأن الأمويين استخدموا لقب "خليفة الله" وهو اصطلاح يفهمه الجميع بمعنى "مندوب الله"، وبالكد يحتاج هذا المعنى إلى مزيد من الحجج لتأييده، فمصطلح "خليفة" يشير إلى حلول شخص محل شخص باعتباره نائبا في حالة غياب الآخر أو خليفة في حالة وفاته، وحيث إن المسلمين سلموا بأن الله حي لا يموت، فإن مصطلح "خليفة

الله" لا يمكن أن يعنى وارث الله^(٣١). وتابعت كرون: "لما أراد المستشرق اليهودى جولدتسيهر أن يفسر هذا اللقب فى ضوء التصور التقليدى للخلافة على أنها خلافة للنبي محمد وليست نيابة عن الله، فسره على أنه يشير إلى"خليفة الرسول المؤيد بتأييد الله له"^(٣٢)،. وقد لاقى هذا التفسير استحسانا لدى البعض.

مقولة تجارة مكة لم يكن لها وجود:

تشكك كرون بأهمية مكة وتجاريتها اذ تقول: "إن تجارة مكة التقليدية تلفت النظر الى سؤال محدد هو: ما تلك البضائع التي مكنت أهل مكة من الاستحواذ على مكانة تجارية بمثل هذا القدر من الاتساع؟ إن ازدهار تلك الامبراطورية التجارية غير المتوقع أمر ليس من السهل توضيحه. ومما لاشك فيه أنه كانت توجد هناك مراكز تجارية في شبه الجزيرة العربية ازدهرت في مناطق لايمكن مقارنتها بأراضي مكة الجرداء، ومنها عدن على سبيل المثال ، التي كانت تستمد أهميتها من البحر."^(٣٣) ، وهنا يتضح رفض كرون الاعتراف بدور قريش في تجارة الشرق العالمية، ونفي اتجاه الحجيج الى مكة وبيتها الحرام قبل الاسلام، بل وأدعت كرون بأنهم كانوا يتجهون للأسواق الثلاثة القريبة منها وهي: عكاظ ، وذو المجاز ، ومجنة. وأن قريشا عاشت في منطقة (بلقا) من شمال الحجاز وان الحج لم يكن الى مكة وانما الى المعبد الذي هو الشمال من الجزيرة بحسب ما ترى كرون. متناسية ان مكة وبيتها المقدس كانت كعبة للعرب فيها نصبت أصنامهم ، ولم يناظرها بيت آخر في طول الجزيرة وعرضها، حتى القليس التي بناها أبرهة في اليمن لجذب أنظار الحجيج إليها بدلا من مكة. وازدادت حماسة العرب لبيتهم مع نفوذ قريش بعد فشل حملته على مكة من جانب ، ولتعاضم نفوذها التجاري من جانب آخر. وما ورد في القرآن الكريم في سورة الايلاف يؤكد بها الله تعالى دولية تجارة قريش قبل الاسلام. وألّا فلماذا وجه أبرهة الحبشي حملته لتدمير الكعبة مقسما ليسيرن الى البيت

حتى يهدمه! اذا كان كما ترى كرون ان الحرم المكي يتساوى مع هبل في الطائف والعزى في نخلة؟! (٣٤)

الرد على باتريشيا كرون:

فرد دونر **Fred Donner** (١٩٤٥-...): مستشرق أمريكي، وُلِد في واشنطن، حصل دونر على الدكتوراه من جامعة برنستون في دراسات الشرق الأدنى في سنة ١٩٧٥، ثم أصبح رئيس المعهد الشرقي وقسم لغات وحضارات الشرق الأدنى بجامعة شيكاغو، تتركز دراساته في الإسلام المبكر، وهو احد المعارضين للاتجاه التنقيحي،^(٣٥) يفتتح دونر كتابه بمقدمة: «إنني مقتنع بأن الإسلام بدأ على صورة حركة دينية، وليس حركة اجتماعية أو اقتصادية أو (قومية). لقد جسدت تلك الحركة تحديداً الاهتمام الشديد بتحقيق الخلاص الشخصي من خلال العمل الصالح، ولم يكن المؤمنون الأوائل مهتمين بالقضايا الاجتماعية والسياسية إلا من جهة ارتباطها بمفاهيم التقوى والسلوك القويم اللازمين لضمان الخلاص»^(٣٦)، وهنا يتضح ما ميّز به دونر هو اعتباره:

- ١- أنّ الإسلام المبكر كان ظاهرة دينية، وأنّ الفاعلين الذين صنعوا التاريخ الإسلامي المبكر كانت تحركهم دوافع دينية، على خلاف ما درج عليه الباحثون الغربيون على تفسير نشأة وصعود الإسلام باستحضار مجموعة متنوعة من العوامل تتراوح بين الاقتصادية والاجتماعية والقومية، بيد أن العامل الديني لم يكن في الحسبان^(٣٧).
- ٢- أنّ هناك بالفعل مشاكل في المصادر الإسلامية، ولكن وسط هذا الكمّ من المرويات الواهية هناك بعض الآثار التي يذهب إلى أنها تعود بالفعل إلى الحقبة المبكرة ويمكن استخدامها في إعادة البناء التاريخي، «أن ذلك الكمّ الهائل من المرويات التي استُخلص منها هذا المخطط العام لحياة النبي محمد =يحيوي الكثير من التناقضات، والكثير من الحكايات المشكوك فيها، لدرجة أن العديد من المؤرّخين أصبحوا متردّدين في قبول أي منها على ظاهره»^(٣٨).

٣- إنَّ الآراء القائلة بأنه حتى القرآن أصله متأخر (لاحق) ويرجع إلى ما بعد وفاة النبي بفترة طويلة =مرفوضة.أذ بالنسبة إلى دونر، فإنَّ أهمَّ مصدر تاريخي هو في نفس الوقت أهم مصدر ديني؛ أي القرآن.

٤- أن جزءاً من سياسة التأكيد على القرآن كان اتخاذ عبد الملك لقباً ذا صدى قرآني هو: خليفة الله. فقد رُفضت بعض العقائد المسيحية الكبرى -خاصة الثالث- وتجلَّى ذلك في بناء قبة الصخرة التي أبرزت بصورة كبيرة الآيات الراضية للثالث من القرآن^(٣٩).

الخاتمة:

ان الاستشراق الجديد، الموغل في النقد الجذري، هو نتيجة الرغبة في تجاوز المنهج الفيلولوجي ورؤيته التاريخية؛ فأتى منهجه الجديد ثمرة إفادة من مكتسبات الثورة المعرفية التي عرفها الفكر الغربي في مختلف مجالات الدراسات الإنسانية: الألسنية، النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية؛ التاريخية، فكانت النتيجة الخروج من حصر الدين الإسلامي في نصوصه التي وصلتنا عبر الروايات الرسمية، والسقوط، في مقابل ذلك، في سئل جارف من الفرضيات التي لا حدود لها مطلقاً، تدَّعي أنها على القدر نفسه من "المعقولية" إن هي قورنت بالسردية الإسلامية، أو بنتائج الاستشراق الكلاسيكي، كما بدا واضحاً مع تلميذة ورائدة الاتجاه التشكيكي كرون. وأخيراً للابد من الإشارة الى: أنَّ تجاوز المنهج الفيلولوجي يعني الانجرار نحو تحويل دراسة الإسلام المبكر إلى حزمة من الفرضيات التي، مهما كانت جذابة من حيث تناغمها المنطقي، ومهما بدت مشروعة من منظور تأويلي، فإنها تبقى بعيدة عن الواقعية .

الهوامش:

(١)(العصيمي)أمل مطر:الاستشراق الحديث والمعاصر مفهومه ووسائله وأثاره،مقال ١٩/٨/٢٠٢٠، موقع مداد.

- (٢) (الجبلاوي) أمانة: الاسلام المبكر الاستشراق الانجلوسكسوني الجديد، ط١، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٨، ص ١٦.
- (٣) (السيد) رضوان: المستشرقون الالمان النشؤ والتاثير والمصائر، ط٢، دار المدار الاسلامي ٢٠١٦، ص ٥٣.
- (٤) (بوجناح) مصطفى: قراءة نقدية في كتاب ” علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث الهجري ” للمستشرق الألماني جوزيف فان إس،
- (٥) (السيد) رضوان: المستشرقون الالمان النشؤ والتاثير والمصائر، ص ٥٣.
- (٦) مزاحم (هيثم): تهافت أطروحة الإسلام “المبكر” للمستشرقين باتريشيا كرون ومايكل كوك. ، مقال ، بلا تاريخ موسوعة الاسلام : موقع عريق. (*)
- (٧) (كرون) باتريشيا : تجارة مكة وظهور الاسلام. ترجمة: آمال الروبي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥. ضمن مقدمة المترجمة، ص ٩.
- (٨) عليوي (زهير يوسف): الاثار العلمية للمستشركة باتريشيا كرون، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية ، العدد: ٢٠٢٠، ٢٦، ص ١٢٧-١٢٨.
- (٩) دي بريمار (الفريد لويس): تأسيس الاسلام بين الكتابة والتاريخ، ترجمة: عبيسي محاسبي، دار الساقبي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٤.
- (١٠) خيرى (امل): باتريشيا كرون تعصب الاستشراق الجديد ، مقال : ١٧/فبراير/٢٠١٥.
- (١١) ياتريشبا كرونه و مايكل كوك: الهاجريون. ت: نبيل فياض، ط١، ١٩٩٩، ص ١٥٢.
- (١٢) مروة (حسين): النزعات المادية في الفلسفة الاسلامية. بيروت، ١٩٧٩، ج١، ص ١١٣.
- (١٣) عيدو (عصام): موقع حورات. صحيفة الحياة. (بلا تاريخ).
- (١٤) خيرى (امل): باتريشيا كرون تعصب الاستشراق الجديد ، مقال (مصدر سابق).

- (١٥) السيد (رضوان): الدراسات الإسلامية: التصدع وإمكانيات إعادة البناء ، سلسلة محاضرات ، (بالجامعة الأميركية ببيروت، عام ٢٠١٨).
- (١٦) مزاحم(هيثم): تهافت أطروحة الإسلام "المبكر" للمستشرقين باتريشيا كرون ومايكل كوك ، (مصدر سابق) .
- (١٧) ياتريشبا كرونه و مايكل كوك: الهاجريون. ص ٣٥ ، (مصدر سابق) .
- (١٨) السيد (رضوان): فيلولوجيا التاريخ والمستقبل وإمكانيات الإسهام في إعادة بناء «دراسات الإسلام» (جامعة برلين، ٢٠١٧)، سلسلة محاضرات ،
- (١٩) السيد (رضوان): ما هي الدراسات الإسلامية، الماضي والحاضر والمستقبل، سلسلة محاضرات، (جامعة برلين، ٢٠١٧)
- (20) Crone P. & Cook M., Hagarism: The Making of the Islamic World.
- (٢١) (السكران)إبراهيم: التأويل الحداثي للتراث، ص ١١٩
- (٢٢) (بالحاج)فرج: الإسلام ومسارات الاغتراب: فتح دفاتر النّقد والنّقد المضاد ، تونس مجمع الاطرش ط١، ٢٠١٩ .
- (٢٣) (الجبلاوي) أمنة: الاسلام المبكر الاستشراق الانجلوسكسوني الجديد، ص ١٤(مصدر سابق).
- (٢٤) (ياتريشبا كرونه و مايكل كوك: الهاجريون. ص ١١٣ ، (مصدر سابق) .
- (٢٥) (الجبلاوي) أمنة: الاسلام المبكر الاستشراق الانجلوسكسوني الجديد، ص ١٤-١٥(مصدر سابق).
- (٢٦) (ياتريشبا كرونه و مايكل كوك: الهاجريون. ص ١٤٩ ، (مصدر سابق) .
- (٢٧) (ياتريشبا كرونه و مايكل كوك: الهاجريون. ص ١٥٠ ، (مصدر سابق) .
- (٢٨) مروة(حسين): النزعات المادية في الفلسفة الاسلامية.بيروت، ١٩٧٩، ج١، ص١٠٧.
- (٢٩) M.Cook, Muhammad , p46. (٢٩)
- (٣٠) باتريشيا كرون ، مارتن هيندز: خليفة الله السلطة الدينية في العصور الاسلامية الاولى، ترجمة: احمد طلعت ، ط١،بيروت ٢٠١٧، ص ٤٤.

(٣١) (الشريف) أحمد إبراهيم: "خليفة الله".. كتاب أجنبي يدين سياسة بنى أمية.. ماذا قال؟

الجمعة، ٢٨ يونيو ٢٠١٩ م ١٠:٠٠ م . ينظر: كذلك كتاب خليفة الله: ياتريشيا كرون.

(٣٢) باتريشيا كرون ، مارتن هيندز: خليفة الله السلطة الدينية في العصور الاسلامية الاولى، ترجمة: احمد طلعت ، المصدر السابق، ص ٤٥ .

(٣٣) (كرون) باتريشيا : تجارة مكة وظهور الاسلام. ترجمة: آمال الروبي، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٣٤) (كرون) باتريشيا : تجارة مكة وظهور الاسلام. ترجمة: آمال الروبي، المصدر السابق ، ص ١١-٢٤ .

(٣٥) جاك تانوس: عرض كتاب محمد والمؤمنون: حول نشأة الإسلام لـ فرد دونر، ترجمة: مصطفى هندي، ٢٠١٠. ص ٥.

(٣٦) العنوان الأصلي للمقالة هو:

Donner, Fred M. Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam. Cambridge, Massachusetts and London: The Belknap Press of Harvard University Press, 2010

وقد نشرت في: (Expositions 5.2 (2011

وقد ترجم هذه المقالة: مصطفى هندي، باحث ومترجم، له عدد من الأعمال المنشورة.

(٣٧) جاك تانوس: محمد والمؤمنون: حول نشأة الإسلام لـ فرد دونر ، المصدر السابق ، ص ٧.

(٣٨) المصدر السابق للمقالة: Donner, Fred M. Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam. Cambridge,

(٣٩) جاك تانوس: عرض كتاب محمد والمؤمنون: حول نشأة الإسلام لـ فرد دونر، ترجمة: مصطفى هندي، المصدر السابق ، ص ٨-٩ .

المصادر والمراجع:

١- (السيد) رضوان: المستشرقون الالمان النشؤ والتاثير والمصائر، ط٢، دار المدار الاسلامي ٢٠١٦.

- ٢- السيد (رضوان): الدراسات الإسلامية: التصدع وإمكانات إعادة البناء ، سلسلة محاضرات، (بالجامعة الأميركية ببيروت، عام ٢٠١٨).
- ٣- السيد (رضوان): فيلولوجيا التاريخ والمستقبل وإمكانات الإسهام في إعادة بناء «دراسات الإسلام» (جامعة برلين، ٢٠١٧)، سلسلة محاضرات ،
- ٤-(الجبلاوي) أمنة: الاسلام المبكر الاستشراق الانجلوسكسوني الجديد، ط١، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٨، ص١٦.
- ٥- (العصيمي) أمل مطر: الاستشراق الحديث والمعاصر مفهومه ووسائله وأثاره، مقال ١٩/٨/٢٠٢٠، موقع مداد.
- ٦-(السكران) إبراهيم: التأويل الحداثي للتراث، بلا، ت.
- ٧- (الشريف) أحمد إبراهيم: "خليفة الله".. كتاب أجنبي يدين سياسة بنى أمية.. ماذا قال؟
الجمعة، ٢٨ يونيو ٢٠١٩ ١٠:٠٠ م .
- ٨- باتريشيا كرون: تجارة مكة وظهور الاسلام. ترجمة: آمال الروبي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥.
- ٩- باتريشيا كرون و مايكل كوك: الهاجريون. ت: نبيل فياض، ط١، ١٩٩٩، ص١٥٢.
- ١٠- باتريشيا كرون ، مارتن هيندز: خليفة الله السلطة الدينية في العصور الاسلامية الاولى، ترجمة: احمد طلعت ، ط١، بيروت ٢٠١٧.
- ١١- (بوجناح) مصطفى: قراءة نقدية في كتاب " علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث الهجري" للمستشرق الألماني جوزيف فان إس،
- ١٢- (بالحاج) فرج: الإسلام ومسارات الاغتراب: فتح دفاتر النقد والنقد المضاد ، تونس مجمع الاطرش ط١، ٢٠١٩ .
- ١٣- خيرى(امل): باتريشيا كرون تعصب الاستشراق الجديد ، مقال :١٧/فبراير/٢٠١٥.
- ١٤- **جاك تانوس**: عرض كتاب محمد والمؤمنون: حول نشأة الإسلام ل فرد دونر، ترجمة: مصطفى هندي، ٢٠١٠.

١٥- دي بريمار (الفريد لويس): تأسيس الاسلام بين الكتابة والتاريخ، ترجمة: عبيسي محاسبي، دار الساقبي، بيروت، ٢٠٠٩.

١٦- عليوي (زهير يوسف): الآثار العلمية للمستشرق باتريشيا كرون، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، العدد: ٢٦، ٢٠٢٠.

١٧- عيدو (عصام): موقع حورات. صحيفة الحياة. (بلا تاريخ).

١٨- مزاحم (هيثم): تهافت أطروحة الإسلام "المبكر" للمستشرقين باتريشيا كرون ومايكل كوك. ، مقال ، بلا تاريخ .

١٩- مروة (حسين): النزعات المادية في الفلسفة الاسلامية.بيروت، ١٩٧٩، ج١ .

موسوعة الاسلام : موقع عريق. (*)

٢٠ - Crone P. & Cook M., Hagarism: The Making of the Islamic World.

٢١-M.Cook, Muhammad ,

22- Donner, Fred M. Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam. Cambridge, Massachusetts and London: The Belknap Press of Harvard University Press, 2010 وقد ترجم هذه المقالة: مصطفى هندي، باحث ومترجم، له عدد من الأعمال المنشورة.